كلية العلوم الإسلامية

قسم الحديث وعلومه

المرحلة الثانية

المادة: عقيدة إلهيات

مدرس المادة: م.م. مهدي محمد جاسم

تمهيد

- قسم كثير من العلماء العقائد الإسلامية إلى ثلاثة أقسام هي : الإلهيات, والنبوات, والسمعيات أو الغيبيات ... والإلهيات هي القسم الأول من أقسام العقائد الإسلامية الثلاث , وقد سميت بهذا الاسم؛ لأنها تبحث فيما يتعلق بذات الله (سبحانه وتعالى) وأسمائه وصفاته وأفعاله .

- الإسلام هو خاتم الرسالات السماوية, ومن أجل ذلك كان دعوة عالمية وديناً للناس جميعاً, لذا فقد اشتمل على كل ما يصلح به حال العباد والبلاد, وإن من يتفحص ما جاء به الدين الإسلامي يجده على ثلاثة أقسام :
- 1- المبادىء الخُلقية : وهي تعنى بالصفات الحسنة التي ينبغي أن يكون عليها الانسان والتي من شأنها أن تصدر عنها الأعمال الخيِّرة كالأمانة والعدل والتعاون والتواضع وغيرها , والعلم الذي يتكفل ببيان هذه المبادىء هو علم الأخلاق والتصوف .

- 2- الأحكام العملية : وموضوعها كل ما يصدر عن الإنسان من أعمال سواء أكانت عبادات كالصلاة والصيام والحج والنذر الخ , أو كانت معاملات كالبيوع والقروض والإجارة والجنايات وغيرها , والعلم الذي يتكفل ببيان هذه الأحكام هو علم الفقه أو علم الأحكام والشرائع .

- 3- الأصول الاعتقادية: وهي تعنى بإثبات العقائد الدينية المتعلقة بالله (عز وجل) وصفات وأفعاله وما يتفرع عنها من مباحث النبوة والمعاد , والغاية منها : إثبات العقائد الدينية بالأدلة اليقينية وإرشاد المتدينين بإيضاح الحجة لهم ولزام المعاندين بإقامة الحجة عليهم , وحفظ قواعد الدين عن أن تزلزلها شبهات المبطلين ,
- والعلم الباحث في أصول الاعتقاد هو علم أصول الدين , وهو موضوع دراستنا .

أسماء علم أصول الدين وأسبابها

- سمي العلم الباحث في أصول الاعتقاد بعدة أسماء تطلق ويراد بها علم أصول الدين, ومن هذه الأسماء ما أطلقه أئمة العلماء على مصنفاتهم, وهي كما سيأتي:
- 1- الإيمان: ووجه هذه التسمية أن كلمة الإيمان ومشتقاتها من أكثر الكلمات استعمالاً في القرآن الكريم والسنة النبوية , ففيهما نجد حديثاً مستفيضاً عن الإيمان بالله (سبحانه) وما يتفرع عنه وعن الإيمان بالبعث والجزاء والحساب, وغيرهما من أصول الدين .
- 2- الفقه الأكبر: وسبب هذه التسمية التمييز عن الفقه الأصغر وهو فقه الفروع (الأحكام الشرعية) , وقد أطلق هذه التسمية علة علم أصول الدين الإمام أبو حنيفة رحمه الله , إذ قال: (الفقه في الدين أفضل من الفقه في العلم؛ لأن الفقه في الدين أصل, والفقه في العلم فرع, وفضل الأصل على الفرع معلوم) .

أسماء علم أصول الدين وأسبابها

- 3- علم النظر والاستدلال: سمي بهذا الاسم لأنه يعتمد منهج النظر الفكري والاستدلال العقلي وسيلة لإثبات أصول العقائد التي ثبتت بالنصوص الدينية .
- 4- علم التوحيد والصفات: هذه التسمية من باب إطلاق الجزء على الكل لأهمية هذا الجزء, فقد سمي علم أصول الدين؛ بهذا الاسم لأن أشهر مباحثه وأهمها وأخطرها مبحثا توحيد الله (تعالى) وصفاته الإلهية .
- 5- علم العقائد: سمي بهذا الاسم لأنه يتكفل ببحث العقائد الدينية , وإثباتها بالأدلة اليقينية, والدفاع عنها ضد العقائد والافكار المخالفة .
- 6- السنَّة: قال ابن رجب الحنبلي(رحمه الله) : (وكثير من العلماء المتأخرين يخص اسم السنة بما يتعلق بالاعتقادات لأنها لأصل الدين) .

أسماء علم أصول الدين وأسبابها

- 7- علم الكلام: اشتهر علم أصول الدين بعلم الكلام لعدة أسباب أهمها:
- إن أظهر مسألة وقع فيها الخصام والكلام في القرون الأولى هي مسألة كلام الله هل هو أزلي أم مخلوق, فسمي باسم أهم مسألة فيه .
- لأنه يورث قدرة على الكلام في تحقيق الشرعيات, وإلزام الخصوم .
- لعل أظهر الأسباب أن أصحابه (المتكلمين) تكلموا في مسائل الاعتقاد, على عكس السلف من الصحابة والتابعين الذين لم يخوضوا في المسائل الاعتقادية إلا بحد ضيق .

أسماء علم أصول الدين وأسبابها

- 8- أصول الدين: سمي بهذا الاسم لأنه أصل المعارف الدينية لابتنائها عليه وتفرعها عنه, ولأنه يتكفل ببيان الاصول الاعتقادية وهي ما يتعلق بمسائل الإلهيات والنبوات واليوم الآخر .
- 9- الشريعة: عرَّف التهانوي الشريعة بأنها: (ما شرع الله لعباده من الأحكام التي جاء بها نبي من الأنبياء , سواء أكانت متعلقة بكيفية عمل وتسمى فرعية وعملية ودون لها علم الفقه, أو بكيفية الاعتقاد وتسمى أصلية واعتقادية ودون لها علم الكلام) .

تعريف علم أصول الدين (لغة واصطلاحاً)

تعريف علم أصول الدين باعتباره مركباً إضافياً من كلمتين هما (أصول) وهي المضاف, و(الدين) وهي المضاف إليه:

أولاً: تعريف كلمة (أصول) :

1- في اللغة : هي جمعٌ مفردها أصل , ومعناها في اللغة ما يبتنى عليه غيره سواء أكان الابتناء حسياً كالأساس الذي يشيد عليه البناء, فهو أصل له, أم كان الابتناء عقلياً كابتناء الأحكام الجزئية على القواعد الكلية .

2- في الاصطلاح : هي ما يبتنى عليه غيره من أمور الدين, ويتفرع عنه .

ثانياً : تعريف كلمة (الدين) :

1- في اللغة : اسم عام يطلق على كل ما يتعبد الله به , كما يطلق على عدة معان مختلفة منها: الطاعة والخضوع والاستسلام, والاستعلاء والملك والسلطان, والجزاء والحساب, والعادة والقضاء, والمذهب والملة والشريعة .

بيان ذلك أن كلمة (الدين) تؤخذ تارة من فعل متعدٍ بنفسه (دانه يدينه) , وتارة من فعل متعدٍ باللام (دان له), وتارة من فعل متعد بالباء (دان به) .

- فإن قلنا : دانه ديناً: عنينا بذلك أنه ملكه وحكمه وساسه ودبره وقهره وحاسبه وقضى في شأنه وجازاه وكافأه, فالدين في هذا الاستعمال يدور على معنى الملك والتصرف بما هو من شأن الملوك .

تعريف علم أصول الدين (لغة واصطلاحاً)

- وإن قلنا (دان له) : أردنا أنه أطاعه وخضع له, فالدين هو الخضوع والطاعة والعبادة والورع .
- وإن قلنا (دان بالشيء) : أردنا أنه اتخذه ديناً ومذهباً , أي: اعتقده أو اعتاده أو تخلق به .

2- في الاصطلاح :

وأما في الاصطلاح فقد عرفه المسلمون بتعريفات متقاربه في ألفاظها , متحدة في معناها هي :

- الدين : وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادت وإلى الخير في السلوك والمعاملات .
- الدين : وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل .

ويلاحظ أن تعريف المسلمين للدين قاصر على الدين الصحيح وهو الدين المنزَّل, وذلك لجعلهم كلمة (وضع إلهي) قيداً في التعريفين السابقين, وكأنهم بذلك لا يسمون الأديان الطبيعية (الوضعية) التي قام الإنسان بوضعها بنفسه ديناً, مع أن القرآن الكريم قد سماها ديناً إذ قال :((ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه)) .

كان ذلك تعريف الدين بمعناه العام , وأما الدين بمعناه الخاص فيقصد به الإسلام , قال الله (سبحانه وتعالى) : ((ورضيت لكم الإسلام دينا)) , وقال: ((إن الدين عند الله الإسلام)) , وقال: ((هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق)) .

والإسلام في اللغة: يأتي بمعنى الطاعة والاستسلام والإذعان والانقياد, كما يأتي بمعنى السلام والأمان .

تعريف علم أصول الدين
(لغةً واصطلاحاً)

وأما الإسلام في عرف الناس واصطلاحهم فهو : الدين الذي شرعه الله لعباده على لسان خاتم رسله نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) .

ثالثاً: تعريف (أصول الدين) باعتباره اسماً لعلم مخصوص من علوم الدين:

عرَّف العلماء هذا العلم بتعريفات متعدده منها:

1- عرَّفه عضد الدين الإيجي(ت 756هـ) بقوله : هو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشُبه , والمراد بالعقائد ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل, وبالدينية المنسوبة إلى دين محمد (صلى الله عليه وسلم) فإن الخصم وإن خطأناه لا نخرجه من علماء الكلام .

2- عرَّفه محمد فريد وجدي (ت 1952) بقوله : علم أصول الدين : علم يشتمل على بيان الآراء والمعتقدات التي صرح بها رسول الله(صلى الله عليه وسلم) , وإثباتها بالأدلة العقلية, ونصرتها, وتزييف كل ما خالفها .

الفصل الثاني : الإلهيات

أدلة وجود الله تعالى :

استدل العلماء على وجود الله تعالى بأدلة كثيرة ، من أهمها ما يأتي:

الدليل الأول : دليل الحدوث :

بُني هذا الدليل على مقدمتين :

المقدمة الأولى: العالَمُ حادث .

المقدمة الثانية: كل حادث لابد له من مُحْدِث .

النتيجة : العالم لابد له من مُحْدِث يُحدثه، أي يرجح وجوده على عدمه وهو الله (سبحانه وتعالى) .

الدليل الثاني: دليل الوجوب :

موجد هذا الكون إما أن يكون واجباً أو مستحيلاً أو ممكناً ، لأن كل أمر لابد أن يتصف بواحد من الأمور الثلاثة السابقة، لأنها أقسام الحكم العقلي.

وكما يأتي :

١- فلا يجوز أن يكون موجد العالم مستحيلاً ؛ لأن المستحيل لا يتصور وجوده مطلقاً فهو عدم محض ، فلا يمكن أن يوجِد غيره، إذ إن فاقد الشيء لا يعطيه، فلا يمكن أن يكون المستحيل مصدراً للوجود .

٢- كما لا يجوز أن يكون موجد العالم ممكناً ، لأن الممكن لا يوجَد إلا إذا وُجِد سبب وجوده ، وسبب الوجود هذا لا يوجد إلا إذا وُجِد سبب آخر لوجوده وهكذا .

٣- ولما ثبت أن موجد العالم ليس مستحيلاً ولا ممكناً، وجب أن يكون موجد العالم (وهو الله سبحانه وتعالى) واجب الوجود ، فلا يحتاج وجوده إلى سبب، بل هو سبب وجود العالم .

سؤال : كيف تبرهن على أن الله تعالى واجب الوجود ؟
الإجابة : النقاط الثلاث المتقدمة .

الدليل الثالث: دليل العناية والاختراع :

أولاً: دليل العناية : وهو يظهر في العناية بالإنسان وخلق جميع الموجودات من أجله، ويبنى على أصلين:

أ- إن جميع الموجودات موافقة لوجود الإنسان .

ب- إن هذه الموافقة هي ضرورة من قِبل فاعل قاصد لذلك مريد ، إذ ليس يمكن أن تكون هذه الموافقة بالاتفاق .

والموفقة تحصل باعتبار موافقة الليل والنهار ، والشمس والقمر لوجود الإنسان، كذلك موافقة الزمان والمكان الذي هو فيه أيضاً، والنبات والحيوان والجماد والأمطار الأنهار والبحار، والنار والهواء، كذلك تظهر العناية في أعضاء الإنسان وأعضاء الحيوان، أي كونها موافقة لوجوده وحياته .

ومن آيات القرآن الكريم التي بينت هذا الدليل:

١- قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ الفرقان: ٦١ .

٢- قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ ﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴾ النبأ: ٦-١٦ .

ثانياً : دليل الاختراع : وهو ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودات، كاختراع الحياة في البحار، والإدراكات الحسية ، والعقل، ويدخل فيه وجود الحيوان كله، ووجود النبات، ووجود السماوات، وهذا الدليل مبني على أصلين :

أ- إن هذه الموجودات مُخترعة، فإننا نرى أجساماً جمادية ثم تحدث فيها الحياة، فنعلم قطعاً أن ههنا موجداً للحياة ، ومنعماً بها وهو الله تبارك وتعالى .

ب- إن كل مُختَرَع فله مُختَرِع .

ومن آيات القرآن الكريم التي بينت هذا الدليل:

١- قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ الأعراف: ١٨٥ .

٢- قوله تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ الطارق: ٥-٦ .

٣- قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ الغاشية: ١٧ .

الإلـــحاد

تعريفه وأسبابه

الإلحاد هو: مذهبٌ فكريٌ ينفي وجود خالق للكون ، فالملحدون لا يعترفون بإله لهذا الكون لأنهم لا يرونه، فهم لا يؤمنون بشيء غير محسوس!! وبالتالي فهم منكرون للدين، رغم أن العقل البشري يعلم أن حواسنا قاصرة عن معرفة أو إثبات وجود كل شيء .

فالاعتقاد بوجود الله (سبحانه وتعالى) هو اعتقاد الفطرة التي فطر الناس عليها، فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها لقول النبي (صلى الله عليه وسلم): ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه)) كما عند البخاري في صحيحه ، وأما الإلحاد فهو أمر قد يطرأ على الفطرة بفعل أسباب حددها القرآن الكريم في آياته ، وهذه الأسباب كما يأتي:

١- الكِبر: كما قال الله (سبحانه) : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ﴾ الفرقان: ٢١ .

ففي الآية بيان أن الكبر هو الذي دفعهم إلى تصور أن الحياة هي كل شيء، وليس وراءها حياة أخرى .

٢- الانحراف: كما قال الله (سبحانه) : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ غافر: ٣٦-٣٧ .

ففي الآية الكريمة بيان أن طريق فرعون طريق خاطيء، دفعه إليه إنحرافه عن الطريق السوي، الذي يعرف به الله (سبحانه وتعالى) .

٣- الظلم : كما قال الله (سبحانه) : ﴿ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾ النساء: ١٥٣ .

فكلمة ﴿ بِظُلْمِهِمْ ﴾ تبين أن الذي دفعهم إلى أن يطلبوا منه مثل هذا الطلب، هو الظلم، ظلم النفوس للحق ، إذ تعرفه وتتنكر له .

٤- الجهل: كما قال الله (تعالى) : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ البقرة: ١١٨ .

ففي الآية بيان أن هذا القول كلام جُهَّال غير عالمين، وأنه ليس بجديد بل هو منطق الكافرين دائماً، لتشابه قلوبهم ، وقررت أن الطريق إلى الله هي آياته وآثاره الدالة عليه .

رؤية الله (سبحانه وتعالى) في اليوم الآخر

اختلفت فرق المسلمين في رؤية الله تعالى في اليوم الآخر على قولين :

القول الأول: تجوز الرؤية : وهو قول جمهور المسلمين ، لعدة أدلة منها:

١- قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ القيامة: ٢٢- ٢٣ .

معنى ناضرة أي : جميلة ، وناظرة : من النظر أي الرؤية . وذلك لأن النظر يفيد الرؤية إذا تعدى بـ (إلى) كما في هذه الآية الكريمة .

٢- قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ يونس: ٢٦ .

معنى الحسنى: الجنة، والزيادة : الرؤية كما ثبت بالحديث الصحيح .

٣- حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) : إن الناس قالوا يا رسول الله: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((هل تُضارون في القمر ليلة البدر؟)) قالوا: لا يا رسول الله ، قال: ((فهل تُضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟)) قالوا: لا يا رسول الله ، قال: ((فإنكم ترونه كذلك)) .

٤- بدليل الإجماع: فقد أجمع الصحابة والتابعون على أن الله يُرى في الآخرة، لابتهالهم إلى الله سبحانه في طلب لذة النظر إلى وجهه الكريم واعتقادهم بذلك، كان ذلك بقرائن من أحوال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وجملة من ألفاظه الصريحة التي لا تدخل تحت الحصر .

قال الإمام مالك(رحمه الله) : لما حجب أعداؤه فلم يروه ، تجلى لأوليائه حتى رأوه، ولو لم يرَ المؤمنون ربهم يوم القيامة ، لم يعير الكافرون بالحجاب، قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ المطففين: ١٥.

رؤية الله (سبحانه وتعالى) في اليوم الآخر

القول الثاني: لا تجوز الرؤية : وهو قول الجَهمية والمعتزلة والخوارج والإمامية والنَّجَّارية والزيدية من الشيعة، مستدلين بأدلة منها :

١- قوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ الأعراف: ١٤٣، وقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ الأنعام: ١٠٣ .

ورُدَّ عليهم بأن هاتين الآتين دليل عليهم لا لهم ، فإن الله سبحانه قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ولم يقل إني لا أُرى أو لا تجوز رؤيتي، أو لست بمرئي . وقوله : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ تدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء وأنه يرى، ولكن لتعاليه عن التناهي والاتصاف بالحدود والجوانب لا يدرك بالأبصار، ولا يحاط به، كما قد قال سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ طه: ١١٠ .

وزعم الزَّمَخْشَري وهو معتزلي بأن (لن) في قوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ تفيد التأبيد، تأبيدا لما ذهب إليه المعتزلة من استحالة الرؤية .

ورُدَّ عليه بما يأتي:

أ- أن (لن) لا تفيد التأبيد، والدليل على ذلك: أن الله تعالى أخبر عن اليهود بأنهم لن يتمنوا الموت أبداً، بقوله سبحانه: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ البقرة: ٩٥، مع أنهم يتمنون الموت في الآخرة ليتخلصوا من العذاب، كما أخبر الله عنهم قولهم: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ الزخرف: ٧٧ ، فلو كانت (لن) للتأبيد لما جاز أن يتمنى اليهود الموت في الآخرة .

ب- (لن) للتوكيد، بدلالة قوله: (أبداً) في قوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ ، وإذا أريد بها التأبيد فهو على تأبيد النفي في الدنيا لا في الآخرة .

واتفقت الأمة على أن الله تعالى لا يراه أحد في الدنيا .

القضاء والقدر

الإيمان بقضاء الله وقدره أمر ضروري في حياة المسلم؛ لأنه إذا علم بأن الأمور كلها بيد الله، وأنها بقضائه وقدره، أدى هذا إلى اطمئنان النفس، وتهوين مصائب الدنيا عليه، ولهذا كان الإيمان بالقضاء والقدر واحد من أهم مباحث العقيدة، ومما يدل على ذلك كثرة وروده في النصوص الشرعية، فضلاً عن أنَّ الإيمان بالقضاء والقدر من تمام التوحيد .

تعريف القضاء والقدر:

تعددت تعريفات العلماء للقضاء والقدر في الاصطلاح على عدة أقوال، ومن أبرزها ما يأتي :

أ- القدر هو التقدير، والقضاء هو الخلق .

قال الخطابي- رحمه الله تعالى - : " القدر اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر، كما الهدم والقبض والنشر أسماء لما صدر عن فعل الهادم والقابض والناشر، يقال: قدرت الشيء وقدرت خفيفة وثقيلة بمعنى واحد، والقضاء في هذا معناه الخلق كقوله - ﷻ - : ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾[1] أي: خلقهن" .

فهذا القول يقتضي أن القدر هو التقدير وفق العلم الأزلي، والقضاء هو الخلق وفق ما سبق به العلم .

ويؤيد صحة هذا القول أن القدر ما لم يكن قضاء فمرجو أن يدفعه الله، فإذا قضى فلا مدفع له، ويشهد لذلك آيات كثيرة القرآن الكريم، كما قال - ﷻ - : ﴿ وَكَانَ أَمْرًا

([1]) سورة فصلت: من الآية ١٢.

مَّقْضِيًّا ﴾ [1]، و ﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [2]، ﴿ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾ [3]، و ﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [4] .

ب- قول الإمام الماتريدي، وهو عكس القول الأول: فالقضاء هو علم الله- ﷻ - السابق، الذي حكم به -ﷻ- في الأزل، والقدر هو وقوع الخلق على وفق ما سبق به العلم .

وهذا القول يعني أن القضاء هو علم الله الأزلي الذي حكم به بوجود الموجودات، والقدر وقوع الخلق على وفق العلم السابق .

ج- وذهب بعض العلماء إلى أنه لا فرق بين القضاء والقدر، فكل واحد منهما في معنى الآخر، وكل منهما يعبر عن الآخر، وبهذا الاعتبار هما مترادفان، وقيل أنهما إذا اجتمعا افترقا؛ إذ يصبح لكل منهما مدلوله الخاص، وإذا افترقا اجتمعا، بحيث إذا أُطلق أحدهما شمل الآخر .

ويتضح مما سبق أن القضاء والقدر بينهما عموم وخصوص؛ فإذا أفرد أحدهما شمل الآخر، وإن اجتمعا افترقا، كلٌّ بحسب معناه .

([1]) سورة مريم: من الآية ٢١.

([2]) سورة مريم: من الآية ٧١.

([3]) سورة البقرة: من الآية ٢١٠.

([4]) سورة آل عمران: من الآية ٤٧.

وجوب الإيمان بالقضاء والقدر:

الإيمان بالقضاء والقدر فرض لازم، وهو أحد أركان الإيمان الستة التي لا يتم إيمان العبد إلا بها، وهو الاعتقاد بأن الله – ﷻ– خلق أعمال العباد، خيرها وشرها، وكتبها عليهم في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقهم، وجميع أعمالهم وقعت بقضاء الله وقدره، وإرادته ومشيئته .

وقد أجمع أهل السنة على الإيمان بالقدر خيره وشره، وحلوه ومره، وقليله وكثيره، وظاهره وباطنه ومحبوبه ومكروهه، وحسنه وسيئه، وأوله وآخره من الله، قضى قضاءه على عباده، وقدر قدره عليهم، فلا أحد منهم يعدو مشيئة الله –ﷻ – ولا يجاوز قضاءه، بل هم كلهم صائرون إلى ما خلقهم له، واقعون فيما قدر عليهم لا محالة، وهو عدل من ربنا – ﷻ– فأراد الطاعة، وشاءها، ورضيها، وأحبها، وأمر بها، ولم يأمر بالمعصية، ولا أحبها ولا رضيها، بل قضى بها، وقدّرها، وشاءها، وأرادها، ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾[1]، وأدلة الإيمان بالقضاء والقدر كثيرة في كتاب الله – سبحانه – وسنة رسوله – ﷺ –: فأما من الكتاب، فقوله – ﷻ– : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[2]، و ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾[3]، و ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[4]، و ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[5]، ﴿ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴾[6] .

---

(1) سورة الأنبياء: الآية ٢٣ .

(2) سورة القمر : الآية ٤٩.

(3) سورة الأحزاب: من الآية ٣٨.

(4) سورة النساء: من الآية ٤٧.

(5) سورة التغابن: من الآية ١١.

(6) سورة طه: من الآية ٤٠.

وأما من السنة، فحديث جبريل – عليه السلام– وفيه : ((أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ))[1] .

وقوله – ﷺ – : ((كل شيء بقدر))[2] .

وغير ذلك من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة الدالة على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر .

وهذا هو القول الحق في القدر، وهو مذهب أهل السنة، فأقوال المسلمين في القدر ترجع إلى ثلاثة أقوال سأبينها لتمام الفائدة:

١– قول الجبرية: وهو القول بالجبر: فليس للعبد إرادة ولا قدرة، وإن التدبير في أفعال العباد كلها لله– ﷻ–، فالعبد مجبور على فعله، ومقسور عليه، كالسعفة التي يحركها الريح، وكالهاوي من الأعلى إلى الأسفل، وأن تكليف الله عباده كتكليف الحيوان البهيم بالطيران، والمقعد بالمشي .

٢– قول القدرية: وهو القول بنفي القدر فالعبد خالق لأفعاله، وهو مستقل بفعله في الإرادة والقدرة عن خالقه، فأفعال الإنسان ليست مقدورة لله ولا مخلوقة له، وقالوا إن الله لا يعلم بأعمال العبد إلا بعد وقوعها.

٣– القول الوسط في القدر: أن الله– ﷻ– خالق كل شيء، وأن للعبد قدرة يفعل بها، وله استطاعة ومشيئة، وهو قول أهل السنة، وهو وسط بين قولي القدرية والجبرية .

---

(1) صحيح الإمام البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي – ﷺ – عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، (١/ ٢٧)، رقم٥٠، و صحيح الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان وأشراط الساعة، (١/ ٢٩)، رقم ١ . واللفظ لمسلم .

(2) صحيح الإمام مسلم، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر، (٨/ ٥١)، رقم ٦٨٤٥ .

مراتب الإيمان بالقضاء والقدر

إن حقيقة الإيمان بالقضاء والقدر لا بد أن يشتمل على الإيمان والتصديق بمراتبه، بل إن هذه المراتب تمثل أركان الإيمان بالقدر، ومتى اختل ركن فقد اختل إيمان الشخص بهذا الأصل العظيم :

المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله الأزلي الذي لا يطلع عليه أحد إلا الله:

ومعناها: الإيمان بعلم الله – ﷻ – السابق بكل شيء، فعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف سيكون، وعلم طاعات العباد ومعاصيهم وكل دقيق وجليل من أحوالهم، علماً تاماً لا يغيب عنه منه شيء صغر أو كبر .

المرتبة الثانية: الإيمان بمشيئة الله الشاملة :

ومعنى هذه المرتبة: الإيمان بمشيئة الله – ﷻ – وأنها الموجبة لكل ما في الوجود، فما وقع في الوجود من عمل فإنما وقع بمشيئة الله، وما لم يقع إنما لم يقع لأن الله – ﷻ – لم يشأ وقوعه ولو شاء وقوعه لوقع، وهذا معنى قول المسلمين: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يخرج شيء في هذا الوجود عن مشيئة الله – ﷻ –، بل كل ما يجري فيه فهو بمشيئته .

المرتبة الثالثة: الإيمان بكتابة الله لكل شيء في اللوح المحفوظ :

أي: الإيمان بأن الله – ﷻ– قد كتب في اللوح المحفوظ كل ما هو كائن إلى يوم القيامة، الكبير والصغير، والجليل والحقير، من أعمال الناس وأحوالهم، على وفق ما سبق به علمه .